

سورة الإسراء

﴿الآيات: 78 - 81﴾

الدرس

20

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف فضل الصلوات المفروضة والنافلة.
- 2- أن أستنتج المقاصد والغايات من توجيه الله تعالى لنبيه ﷺ.
- 3- أن أواظب على الصلاة لتزكية نفسي ونيل رضا الله تعالى.

تمهيد

لما ذكر الله سبحانه وتعالى كيد الكفار ومحاولة فتنتهم النبي ﷺ واستفزازهم له؛ أردف ذلك بأمره ﷺ بالإقبال على عبادة ربه والمداومة على الصلاة المفروضة والنافلة، ثم وجهه سبحانه لعدم الالتفات إلى المشركين، وأمره بأن يتوجه إليه سبحانه بالدعاء ليحظى بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأنبياء والمرسلون.

فما هي توجيهات الله تعالى لنبيه ﷺ الواردة في الآيات؟ وكيف أفندي به ﷺ؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿أَفِمِ الصَّلَاةِ لَدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانِ مَشْفُوعاً ۖ ۝٧٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ۚ نَافِلَةً لَّكَ عَمَّا أَتَى يَتَعَشَّرُونَ ۚ ۝٧٩ وَمِنْ مَقَامَاتِهِ ۚ ۝٧٩ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ

لَذُنُوكَ لُحُومًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَفُلْجَاءَ النُّجُومِ وَزُرْقَاءَ الْبَاهِلِ إِنَّ الْبَاحِلَ كَانَ زُرْقًا ﴿٨١﴾ [سورة الإسراء: 78 - 81]

الفهم

الشرح :

لُحُومُ الشَّمْسِ : زوالها عن دائرة نصف النهار.

غَسَوِ اللَّيْلِ : سواده وظلمته.

فُرُوعُ الْبَجْرِ : صلاة الصبح.

استخلاص مضامين الآيات:

- 1- إلام وجه الله سبحانه رسوله ﷺ في هذه الآيات؟
- 2- في أي الأمور أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يلتجئ إليه؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: توجيه الله تعالى نبيه ﷺ إلى المداومة على الصلاة المفروضة والنافلة:

أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بإقامة الصلاة والمداومة عليها، فقال سبحانه: ﴿أَفِمْ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَوِ اللَّيْلِ﴾ الصلاة في الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة بإجماع من المفسرين. و﴿لَدُلُوكَ الشَّمْسِ﴾ لزوالها، والإشارة إلى الظهر والعصر، واللام في ﴿لَدُلُوكَ الشَّمْسِ﴾ لام التوقيت، وهي بمعنى "عند" و﴿غَسَوِ اللَّيْلِ﴾ أشير به إلى المغرب

والعشاء. ﴿وَفَرَّانَ الْقَجْرِ﴾ أريد به صلاة الصبح، وانتصب عطفًا على الصلاة. فالآية على هذا تعم جميع الصلوات.

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: "أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر". وروى جابر أن النبي ﷺ خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس، فقال: "أخرج يا أبا بكر، فهذا حين دلكت الشمس". وهذا القول هو الأصوب لعمومه الصلوات.

وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد بن أسلم: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ غروبها، والإشارة بذلك إلى المغرب، و﴿غَسَقِ الْإِيلِ﴾ اجتماع ظلمته، فالإشارة إلى العتمة. و﴿وَفَرَّانَ الْقَجْرِ﴾ صلاة الصبح، ولم تقع إشارة على هذا إلى الظهر والعصر.

والقولان من جهة اللغة حسنان، والأول أصوب لعمومه الصلوات؛ وذلك أن الدلوك هو الميل في اللغة، فأول الدلوك هو الزوال، وآخره هو الغروب، ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دلوكًا؛ لأنها في حالة ميل. فذكر الله الصلوات التي في حالة "الدلوك" وعنده، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب. ويصح أن تكون المغرب داخلة في غسق الليل. ومن الدلوك الذي هو الميل قول الأعرابي للحسن البصري: أيدالك الرجل امرأته؟ يريد: أيميل بها إلى المطل في دينها؟ فقال له الحسن: نعم إذا كان ملفجًا، أي: عديمًا.

وقوله تعالى: ﴿وَفَرَّانَ الْقَجْرِ﴾ نصب قوله: ﴿وَفَرَّانَ﴾ بفعل مضمّر تقديره: واقرأ قرآن، ويصح أن ينصب عطفًا على الصلاة، أو على الإغراء. أي: وأقم قرآن الفجر. وعبر عن صلاة الصبح خاصة بـ"القرآن" لأن القرآن هو معظمها؛ إذ قراءتها طويلة مجهور بها.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ مَشْفُودًا﴾ استئناف بياني لوجه تخصيص صلاة الصبح باسم القرآن، بأن صلاة الفجر مشهودة. معناه: يشهده حفظة النهار وحفظة الليل من الملائكة، حسبما ورد في الحديث المشهور من قوله عليه السلام: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر" [صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر].

ولما أمر الله تعالى بالحفاظ على الصلوات الخمس على سبيل الرمز والإشارة، أرفده بالحث على صلاة الليل، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۖ﴾، و﴿مِر﴾ في الآية للتبعيض، التقدير: وقم وقتا من الليل. والضمير في ﴿بِهِ﴾ عائد على هذا المقدر، ويحتمل أن يعود على " القرآن " وإن كان لم يجر له ذكر مطلق كما هو الضمير مطلق، لكن جرى مضافا إلى الفجر. و﴿فَتَهَجَّدْ﴾ الهجود: النوم، يقال: هجد يهجد بضم الجيم هجودا إذا نام. معناه: فاطرح الهجود عنك، ومثله قوله تعالى: ﴿فَكَلَّمْتُم مَّن تَقْكَفُونَ﴾ [الواقعة: 68] أي: تطرحون الفكاهة عن أنفسكم، وهي انبساط النفس وسرورها، يقال: رجل فكه، إذا كان كثير السرور والضحك. فالمعنى: وقتا من الليل اسهر به في صلاة وقراءة.

وقوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ قال ابن عباس وغيره: معناه زيادة لك في الفرض. قالوا: وكان قيام الليل فرضا على النبي ﷺ .

قال ابن عطية: وتحتل الآية أن يكون هذا على وجه النذب في التنفل، ويكون الخطاب للنبي ﷺ والمراد هو وأمته، كخطابه في قوله تعالى: ﴿أَفِمِ الصَّلَاةِ﴾ الآية.

وقال مجاهد: إنما هي نافلة للنبي ﷺ لأنه مغفور له، والناس يحطون بمثل ذلك خطاياهم. وبين أن النبي ﷺ منذ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر عام الحديبية، فإنما كانت نوافله واستغفاره فضائل من العمل، وقربا أشرف من نوافل أمته؛ لأن هذه إما أن تجبر بها فرائضهم حسب الحديث، وإما أن تحط بها خطاياهم. وقد يتصور من لا ذنب له ينتقل فيكون تنفله فضيلة، كنصراني يسلم وصبي يحتلم. وضعف الطبري قول مجاهد.

وقوله سبحانه: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۖ﴾ عزة من الله عز وجل لرسوله، وهو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء حتى ينتهي إليه عليه السلام، والحديث بطوله في البخاري ومسلم.

ولأجل ذلك السعي الذي له في مرضاة جميع العالم مؤمنهم وكافرهم يوم الحساب كما تضمنه حديث الشفاعة قال ﷺ: " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " . و﴿عَسَىٰ﴾ من الله واجبة، أي: تفيد القطع

والتحقيق؛ لأنه وعد كريم وهو لا يتخلف. ﴿مَقَامًا﴾ نصب على الظرف. ومن غريب حديث الشفاعة اقتضابه المعنى؛ وذلك أن صدر الحديث يقتضي أن النبي ﷺ يستهض للشفاعة في أن يحاسب الناس، وينطلقون من الموقف، فيذهب لذلك، وينص بإثر ذلك على أنه شفع في إخراج المذنبين من النار، فمعناه الاقتضاب والاختصار؛ لأن الشفاعة في المذنبين لم تكن إلا بعد الحساب والزوال من الموقف، ودخول قوم الجنة ودخول قوم النار. وهذه الشفاعة لا يتدافعها الأنبياء؛ بل يشفعون ويشفع العلماء. وذكر الطبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي".

قال ابن عطية: وينبغي أن يتأول هذا على ما قلناه لأمته وغيرها، أو يقال: إن كل مقام منها محمود. قال أبو بكر النقاش: لرسول الله ﷺ ثلاث شفاعات، شفاعة العامة، وشفاعة السبق إلى الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر. والمشهور أنهما شفاعتان فقط. وحكى الطبري عن فرقة منها مجاهد أنها قالت: "المقام المحمود": هو أن الله عز وجل يجلس محمدا معه على عرشه، وروت في ذلك حديثا، وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول، وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى وفيه بعد، ولا ينكر مع ذلك أن يروى، والعلم يتأوله. وقد ذكر النقاش عن أبي داود السخني أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا.

ثانيا: أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتوكل عليه في كل أموره؛

وقوله عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّىْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾ ظاهر هذه الآية والأحسن فيها أن يكون دعاء في أن يحسن الله حالته في كل ما يتناول من الأمور ويحاول من الأسفار والأعمال وينتظر من تصرف المقادير في الموت والحياة، فهي على أتم عموم. وذهب المفسرون إلى أنها في غرض مخصوص، ثم اختلفوا في تعيينه، فقال ابن عباس والحسن وقتادة: أراد أدخلني المدينة وأخرجني من مكة. وقال أبو صالح ومجاهد: أدخلني في أمر تبليغ الشرع وأخرجني منه بالأداء التام. وقال ابن عباس: الإدخال بالموت في القبر، والإخراج بالبعث. وما قدمت من العموم التام الذي يتناول هذا كله أصوب.

و﴿صَدَقَ﴾ هنا صفة تقتضي رفع المذام واستيعاب المدح، كما تقول: رجل صدق، أي: جامع للمحاسن. وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِّمِرْلَدَنِكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾ قال مجاهد وغيره: حجة. يريد: تنصرنى ببيانها على الكفار. وقال الحسن وقتادة: يريد سعة ورياسة وسيفا ينصر دين الله. فطلب رسول الله ﷺ ذلك بأمر الله إياه به رغبة في نصر الدين، فروي أن الله وعده بذلك، ثم أنجزه له في حياته، وتممه بعد وفاته.

وقوله سبحانه: ﴿فُلْجَاءُ الْحَقِّ وَزَعَوُ الْبَاطِلِ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَعُوْفًا﴾ . هذه الآية نزلت بمكة، وكان رسول الله ﷺ يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الأصنام وسقوطها لطنه إياها بالمحصرة، حسبما في السيرة لابن هشام وفي غيرها.

وقد اختلف المفسرون في المقصود بقوله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ قال قتادة: الحق القرآن، والباطل: الشيطان. وقالت فرقة: الحق الإيمان، والباطل الكفر. وقال ابن جريج: الحق الجهاد، والباطل الشرك. وقيل: غير ذلك. والصواب تعميم اللفظ بالغاية الممكنة؛ فيكون التفسير: جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه، وزهق الكفر بجميع ما انطوى فيه. والباطل كل ما لا تنال به غاية نافعة. وقوله: ﴿كَانَ زَعُوْفًا﴾ ليست "كان" إشارة إلى زمن مضى، بل المعنى كان وهو يكون، وهذا كقولك: كان الله عليما قادرا، ونحو هذا.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- توجيه الله تعالى رسوله ﷺ إلى المحافظة على الصلوات المفروضة والاجتهاد في النوافل والحرص على التهجد؛ لما في ذلك من اطمئنان النفوس وتركيتها وصونها من الانحراف.
- بيان جود الله تعالى ونعمه على رسوله ﷺ بأن أدخله مدخل صدق وأخرجه مخرج صدق، وكان له عوناً ونصيراً على المشركين الذين حاولوا فتنته واستفزازه.
- إكرام الله تعالى رسوله ﷺ بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأنبياء والمرسلون والخلائق أجمعون، وهو مقام الشفاعة العظمى.

التقويم

- 1 - أَسْتَنْتَجِ المقاصد التي تحقّقها الصلاة المفروضة والنافلة.
- 2 - أُبْرِز دور الدعاء والتوكل على الله في تحقّق ما يسعى إليه المؤمن من أهداف.
- 3 - أُبَيِّن من خلال الآيات صراع الحق والباطل، ولمن تكون الغلبة.

الاستثمار

" قَوْمٌ اعْتَنَوْا بِإِقَامَةِ صَلَاةِ الْجَوَارِحِ وَهُمْ: الصَّالِحُونَ الْأَبْرَارُ، وَقَوْمٌ اعْتَنَوْا بِإِقَامَةِ صَلَاةِ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ الصَّلَاةُ الدَّائِمَةُ، وَهُمْ الْعَارِفُونَ الْكِبَارُ، وَقَوْمٌ اعْتَنَوْا بِسَهْرِ اللَّيْلِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَهُمْ الْعِبَادُ وَالزُّهَادُ وَالصَّالِحُونَ أُولُوا الْجِدِّ وَالْإِحْتِهَادِ. وَقَوْمٌ اعْتَنَوْا بِسَهْرِهِ فِي فِكْرَةِ الْعِيَانِ وَالشُّهُودِ، وَهُمْ الْمُقَرَّبُونَ عِنْدَ الْمَلِكِ الْوَدُودِ. الْأَوَّلُونَ يُوفُّونَ أَجْرَهُمْ عَلَى التَّمَامِ بِالْحُورِ وَالْوِلْدَانِ، وَالْآخَرُونَ يُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ وَيَتِمَّتَعُونَ بِالنَّظَرِ عَلَى الدَّوَامِ. الْأَوَّلُونَ مُحِبُّونَ، وَالْآخَرُونَ مَحْبُوبُونَ. الْأَوَّلُونَ يَشْفَعُونَ فِي أَقَارِبِهِمْ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ، وَالْآخَرُونَ قَدْ يَشْفَعُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فِي أَهْلِ عَصْرِهِ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ " .

[البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: 3 / 224].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1 - أَسْتَخْرِج من النص أصناف عباد الله الصالحين.
- 2 - بم تتفاوت تلك الأصناف في الدرجات عند الله تعالى؟

أتأمل الآيات: 81 - 85 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

- 1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **أَعْرِضْ وَنَبَأِ بِجَانِبِهِ** - **يَعُوسًا** - **عَلَى شَاكِلَتَيْهِ**.
- 2 - أبحث عن أثر القرآن الكريم على أهل الإيمان وغيرهم.
- 3 - أستخرج ما في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَهِيمَ الْإِسْلَامَ وَأَعْرِضْ وَنَبَأِ بِجَانِبِهِ﴾** من استعارة، وأبين أثرها في معنى الآية.